العلاج والتداوي في الدولة المهدية في السودان

(1303-1316هـ/ 1885-1898م)

حاتم الصديق محمد أحمد
قسم التاريخ - كلية التربية – جامعة الزعيم الأزهري - السودان.

المستخلص

هدفت هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على واحد من المواضيع التي أغفل الباحثين والمهتمين بتاريخ الدولة المهدية دراستها والبحث فيها بصورة مفصلة ، كما تنبع أهمية الدراسة من كونها تعد الدراسة الوحيدة التي تتناول هذا الموضوع من مصادره الاصلية حيث شكلت الوثائق والكتب المصدرية والمراجع العنصر الرئيس لهذه الدراسة ، تتمثل مشكلة الدراسة في هل كانت الدولة المهدية تهتم بموضوع العلاج والتداوي فيها بصورة رسمية أم موضوع العلاج كان يترك لرغبة الشخص ونوع العلاج وطبيعة المرض ، وماكن وزمان الشخص الذي يحتاج للعلاج، أتبعت الدراسة المنهج التاريخي الوصفي التحليلي بغية الوصول إلى نتائج والتي منها :تعدد الأمراض في الدولة المهدية وذلك لأسباب اجتماعية وصحية ومناخية وغيرها ، تطلع العديد من لأنصار للبحث عن العلاج الناجع في أم درمان عاصمة الدولة المهدية ، وجود صيدلية في الدولة المهدية تتبع لإدارة بيت المال ، الحضور إلى أم درمان بغرض العلاج يخض لموافقة لخليفة عبد الله ولأمير يعقوب وبطلب مباشر من الشخص المريض إلى عامل العمالة أو أمير الجيش في مناطق السودان المختلفة.

الكلمات المفتاحية: الدولة المهدية، العلاج، التداوي

مقدمة

شهدت الدولة المهدية والتي أمتد حكمها من (1885-1898م) ، سعي مستمر لتوفير العلاج والتداوي للأنصار في من خلال السماح لهم بالحضور إلى أم درمان عاصمة الدولة ، كما أن بعض الامراء وقادة الجيش والعمال عملوا على توفير العلاج البلدي لمتوفر في منطقهم لعلاج الكثير من الامراض ، وقد كان العلاج في أم درمان مرتبط بموافقة الخليفة عبد الله ولأمير يعقوب ، حيث كان الأمير أو العامل يقوم بتقديم طلب للخليفة أو الامير يعقوب يطلب منه السماح للشخص لمحدد بالحضور إلى أم درمان بغرض الحصول على العلاج المحدد، وبالإضافة للأدوية المحلية (الشعبية) امتلكت الدولة المهدية لعديد من الأدوية الحديثة وذلك من خلال الحصول عليها من لمدن التي سلمت للمهدية مثل الخرطوم والأبيض وسنار ، وبربر ، ودنقلا ، وكسلا ، وغيرها من المدن السودانية التي كانت تحت سيطرة الحكم التركي – المصري (1821-1881م)، وقد عملت الدولة المهدية على تأسيس صيدلية تحت إدارة بيت المال في أم درمان ، يعمل على إدارتها شارلس نيوفلد أسير الدولة المهدية ، وقد نجح في إدارة هذه الصيدلية بصورة جيدة من خلال تقديم الأدوية الحديثة للقيادة السياسية في أم درمان والقادة ولأمراء وغيرهم علية المجتمع المهدوي.

العلاج والتداوي في فترة الممالك الاسلامية في السودان (1504-1821م):

أهتم العديد من الرحالة الذين زاروا السودان في فترة الممالك الاسلامية وما قبلها بشرح طرق العلاج والتداوي التي كانت مستخدمة في تلك الفترة ، وقد ذكر جون لويس بوركهارد العديد من المنتجات التي تستخدم في علاج المرضي عند زيارته لشندي في العام (1813م) حيث اشار إلى الصندل الذي يستخدم كبخور لغرفة الشخص المريض ،كما تم استخدام الحلبة كمقوي جنسي ، وكانت تستورد من مصر ،وقد استخدمت (القرفة) بعد غليها على النار لتخيف المحي ، ولعلاج الدوسنتاريا ،وهي تنموا في منطقة البطانة في

الحدود مع الحبشة ،وتم استخدام (اللألوب) لعلاج الغازات واضطراب المعدة في مختلف مناطق السودان ([1]).

وقد ذكر بوركهارد أنه من أكثر الأمراض انتشاراً في شندي مرض الحمي ، ويتم علاجها بشرب عصير (العرديب) ، وينتشر كذلك مرض الحمي الصفراء وسط مجموعات الأرقاء ، وهناك أيضا مرض (البواسير) الذي يتم علاجه بواسطة الكي بالنار ، وهناك ايضاً دودة (الفرنتيت) أو دودة غينيا وقد انتشر هذا المرض وسط مجموعات الرقيق والتجار السودانيون الذين يذهبون إلى مصر ، وأكثر منطق أنتشارها كما أشر بوركهارد اقليم دارفور وكردفان ، كما توجد بعض لحالات منها في منطقة شندي ، ومن أسباب الإصابة بها تناول لحوم الحيوانات التي تعتمد في شربها على مياه الأمطار والبرك في مناطق كردفان ودارفور ([2]).

النظام الصحي في فترة الحكم التركي – المصري في السودان(1821-1885م):

المتتبع للنظام الصحي في السودان في فترة لحكم التركي – المصري في السودان (1821-1885م) ، يجد أن هناك اهتماما واضحاً بإنشاء المستشفيات في حواضر الاقاليم السودانية ، وقد خصصت هذه المستشفيات بغرض علاج القوات التركية المصرية في السودان ، وأما عامة أهل السودان فلم يجدوا حظهم من العلاج في هذه المستشفيات ، وذلك بسبب نقص الكوادر الطبيبة التي يتم إحضارها للسودان كما علل ذلك محمد على باشا ، واستمر هذا الوضع عند خلفاء محمد على الذين تعاقبوا على حكم السودان ، ولذلك استمر السودانيين في علاج أمرضهم التي تعتريهم بالطرق البلدية وهي المتعارف عليها عندهم منذ عقود قديمة ، والعلاجات التي ابتدها السودانيين كانت تتناسب مع مناخ بلادهم وطبيعتهم الخاصة ([3]).

اتجه الحكم التركي إلى الاهتمام بالنظافة العامة في المدن السودانية وهي ما يعرف بالصحة الوقائية ، وقد كانت يتم كنش ورش معظم المدن في السودان بصورة مستمرة ، مثل الخرطوم ، وبربر ، وغيرها من المدن ، وبالإضافة لذلك فقد كان هناك اهتمام واضح بالتطعيم ضد الأوبئة ومثال لذلك مرض (الجدري) ، وقد كان الجدري يعد من الامراض المستوطنة في ذلك الوقت ، وقد كانت الخرطوم المركز الرئيس لتوزيع اللقاح على مختلف مناطق السودان ، ويشترك في عملية التطعيم كل من (الحكما) و(الأجزجية) ، وتتم عملية التطعيم بالطواف على المناطق المختلفة وعدم انتظار الأطفال في مكان واحد ، وقد كان (الحكما) يقومون بعمليات اسعف لبعض المرضي ، حيث كانوا يحملون معهم بعض الأدوات الجراحية وبعض الأدوية ، وقد كانت هناك قوائم ترفع بصورة شهرية من الخرطوم بغرض التطعيم ، تستعمل على عدد الذين تم تطعيمهم ، وعدد الجرعات لتي قاموا بإخذها ، والذين اكتملت عملية تطعيمهم ،وهناك ملحوظة مهمة وهي أن الكثير من الأهالي كانوا ينفرون من عملية التطعيم ([4]).

العلاج التقليدي في السودان في فترة الحكم التركي – المصري في السودان:

بسبب عدم وجود رعاية صحية حقيقية من قبل الحكم التركي- المصري في السودان تجاه السودانيين ، أتجه الكثيرون منهم للعلاج البلدي ، وقد اعتمدوا على الأدوية البلدية التي تعتمد على لأعشاب بمكوناتها لمختلفة ، وعملوا على ابتكار العديد من الأدوية البلدية لعلاج العديد من الأمراض التي كانت منتشرة في ذلك الوقت ، ومن الأمراض التي كانت شائعة في السودان في فترة الحكم التركي- المصري ، الحميات بأنواعها ، والدرسونتاريا ، والزهري ، والتراكوما ، والجدري ، ولعلاج الحمى كان يتم استعمال التمائم والحجبات ، كما يشرب البعض رطلا من لسمن البلدي لمدة ثلاثة أو أربعة أيام ، أو يتناولون كميات كبيرة من اللبن بعد أن يغمس في الصندل لمدة يوم كامل ، وقد اكتمل شفاء الكثرين نتيجة لهذا العلاج البلدي ، ولمعالجة الدرسونتاريا يتم شرب اللبن الرائب بعد أن يخلط بثمرة التبلدي طوال الليل ، ويستخدم القليل من التبلدي كملين في حالة الإمساك ، كما استخدم أهل السودان الكي بالنار لعلاج بعض الأمراض ([5]).

ومن الأمراض التي ظهرت في فترة الحكم التركي – المصري مرض الجدري ، وهو من الأمراض القديمة جداً وقد ورد ذكرها في الحضارة المصرية القديمة ، ويذكر بأن الفرعون رمسيس المتوفى في (1157 ق.م) قد تعرض

([1]) نسيم مقار، الرحالة الأجانب في لسودان (1730-1851م)، مركز الدراسات السودانية ، القهرة ، 1995م، ص 66.
([2]) نسيم مقار ، مرجع سابق، ص 85.

([3]) محمد الأمين سعيد ، عصري عباس ومحمد سعيد في السودان (1265-1279ه / 1848-1863م)، مطبعة جامعة الخرطوم ، الخرطوم ، 2008م، ص 253.
([4]) محمد الأمين سعيد ، مرجع سابق، ص 253-255.
([5]) المرجع نفسه، ص 255.

لها المرض ، وقد شهدت العصور الوسطى انتشار هذا المرض بصورة كبيرة جداً ،ومن المشاهير الذين تعرضوا لمرض الجدري على مستوى العالم ، فولتير خطيب الثورة الفرنسية ، والشاعر وأبو العلا المعري الذي سرق الجدري بصره ، وجورج واشنطن أول رئيس للولايات المتحدة الأمريكية ، ووزير الخارجية الألماني بسمارك ، ورومل القائد البريطاني المشهور ، وغيرهم ([6]).

ومن المناطق التي انتشر فيها الجدري في السودان ، منطقة كردفان ، ولعلاج هذا المرض كان يتم وضع المريض على الرماد ولا يسمح له بالحركة حتى يموت أو يكتمل شفاءه ، كما كان يستخدم عصير البصل في العين عندما تصاب بأي نوع من الالتهاب ، وفي شمال السودان كان يتم استخدام القرض ومشروب القرنجان أو الجنزبيل المغلي لعلاج (الكحة)، كما ينم استخدام (الحجامة) لعلاج الحكة المزمنة ، ولعلاج السعال الديكي (الكتكوتة) فيتم تناول لبن الحمير ويأكل الفئران المسلوقة ، ولأمراض القلب أو (وجع القلب) يتناول المريض (الجردقة) بالليمون ، أو يتناول خليط من الحرجل والتمر هندي ، وهناك وصفة ثالثة وهي تشتمل على الحرجل والمحريب والجنزبيل والسكر ، ويتم تناول هذه الخلطة مرتين في اليوم ([7]).

مما سبق يتضح أن الحكم التريكي – المصري في السودان قد أهمل وبصورة كبيرة علاج الأهالي في مختلف مناطق السودان، ولذلك أتجه الكثيرون منهم للعلاج البلدي أو التقليدي، وهو ما توارثه عن أجدادهم ويتناسب مع بئتهم ومناطقهم بصورة كبيرة، ولأنهم قد عرفوا هذه الأدوية وتعودوا عليها عبر الممارسة المستمرة ، كانت مصدر ثقة بالنسبة لهم أكثر من الأدوية الحديثة، ولذلك انتشر العلاج الشعبي ولتقليدي في مختلف مناطق السودان وحتى قيام المهدية وحتى اليوم.

الأمراض والأوبئة في المهدية:

شهدت الدولة المهدية العديد من الأمراض والأوبئة الفتاكة، والتي شهدها السودان في عهود سابقة، في فترة الفونج والحكم التركي – المصري، وهي مرتبطة بالتخلف وعجز الناس عن محاربة تلك الأوبئة، ومن لأمراض التي كانت سائدة في الدولة المهدية، الدوسنتاريا وحمى التيفوس الوبائية التي كانت تظهر بين نوفمبر ومارس من كل عام، وكذلك ظهرت أمراض أخرى مثل الجدري والسحائي والملاريا ([8]).

يطلق على الملاريا اسم (ملك لأمراض)، وهي أقدم مرض سجله التاريخ، وقد أصاب قوم فرعون مرض عرف باسم (آت) وهو الملاريا، وقد عرفت الحضارة الصينية والهندية بالإضافة للفرعونية هذا المرض ، وتواصل انتشاره عبر مختلف الحقب التاريخية وحتى يومنا هذا([9]).

واما مرض الجدري فقد كان منتشراً في الدولة المهدية ، وقد حصد هذا المرض في أم درمان حياة المئات ، وقد عمل بيت المال على توزيع الأكفان للناس الأمر الذي يدل على سرعة انتشار هذا المرض، ويذكر أن الانجليز وغردون باشا لعبوا دوراً مهماً في انتشار هذا المرض ، من خلال خلطه ببعض المواد الغذائية التي خلفتها حملة انقاذ غردون في منطقة (القبة)، وقد أسهم هروب أعداد كبيرة من السودانيين ناحية كردفان ودارفور وغيرها من المناطق في انتشار مساحة هذا المرض، وقد انبرى عدد من الأطباء منهم الحقيقيون والمزيفون للحد من نتشار المرض ، من خلال تطعيم السكان ولكن معظم الأمصال كانت ملوثه مما زاد في انتشار المرض بصورة كبيرة([10]).

شهدت الدولة المهدية وجود بعض الأطباء الذين كانوا متواجدين في بعض مناطق السودان مع الحكم التركي – المصري ، ولم يتمكنوا من مغادرة السودان ، وعلى الرغم من وجود أطباء أعتمد أهل السودان في فترة الدولة المهدية على الطب الشعبي بصورة كبيرة ، وذلك في معظم مناطق الدولة المهدية ، ومثال لمن يقومون بالطب الشعبي في الدول المهدية نجد البصير الذي يقوم بمعالجة الكسور ، والحلاق يقوم بالحجامة وختان الأولاد ، والشلاق يقومون بعمليات جراحية في العيون لإزالة المياه البيضاء ، والقابلة تقوم بتوليد وطهارة البنات ، والفكي (الشيخ) يقوم بعلاج الأمراض النفسية والعصبية ([11]).

([6]) حسن فريد أبو غزالة ، أمراض لها تاريخ ، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي ، سلسلة الثقافة لعلمية ، 1995م ،ص 22-24.
([7])محمد الأمين سعيد ، مرجع سابق ، ص 256.
([8]) تاج السر عثمان الحاج ، التاريخ الاجتماعي للمهدية (1881-1898م)، مركز عبد الكريم ميرغني ، أم درمان ، 2010م، ص107.
([9]) حسن فريد أبو غزالة ، مرجع سابق ، ص 56.

([10])جوزف أورفالد ، عشر سنوات من الأسر في معسكر المهدي (1882-1892م)، (ترجمة) عوض أحمد محمد الضو، مطبعة التمدن المحدودة ، الخرطوم، 2008م، ص،174.
([11]) محمد سعيد القدال ، تاريخ السودان الحديث (1821-1956م)، ط2، مطبعة جامعة أفريقيا ، الخرطوم ، 2002م ، ص389.

وذكر يوسف مخائيل ان الأمير يعقوب (جراب الرأي)، قد عمل على تنظيم بيت المال، بعد أن استلم الخليفة عبد الله السلطة في أم درمان بعد وفاة الإمام المهدي، وقد قام بعمل استبالة (مستشفى) في بيت المال [12].

وقد كان حسن زكي وهو طبيب مصري ، مسئولاً عن المخازن الطبية في بيت المال ، وقد كان يتعاون مع شرلس نيوفلد في صرف بعض الأدوية له ، وكن هناك مساعد طبي مع حسن زكي يدعى سيد عبد الواحد [13].

لعلاج عثمان آدم من مرض ألم به أرسل الخليفة عبد الله شخص يدعى الزبير عبد الرحيم ومعه طبيب بغرض المعالجة، وقد التقوا بعثمان بالقرب من مركز (دارة) في دارفور، وقد وعد الزبير الخليفة عبد الله بأن يتم علاج عثمان آدم بصورة سرية وان لا يعلم به أحد، وقد أخبر الزبير عبد الرحيم الخليفة عبد الله بان فترة العلاج سوف تخد زمن وسبب ذلك أن الطبيب لا يستطيع علاج عثمان آدم وهو في حالة سفر، ولذلك الأفضل ان تتم معالجته وهو في ديم دارة [14].

من خلال ما سبق نعتقد ان المرض الذي كان يعاني منه لأمير عثمان آدم (البواسير)، وذلك لعدد من الأسباب منها:

1- طلب الخليفة عبد الله بالتكتم على هذا المرض.
2- علاج هذا المرض لا يتم ولأمير في حالة سفر.

إصابة الخليفة عبد الله بحمى التايفويد:

تعرض الخليفة عبد الله عندما كان في الأبيض لنوع من المرض ويعتقد بأنه الحمى [15]. هذه الوعكة الصحية هي أول وعكة صحية يتعرض لها الخليفة عبد الله، في فترة الثورة المهدية، ونجد الإشارة لها من خلال خطاب الخليفة نفسه إلى الأمير حمدان أبوعنجة. كما ذكر سلاطين باشا أنه وبعد سيطرة القوات المصرية على طوكر، وإرسال الخليفة عبد الله للأمير محمد عثمان أبوقرجة للاستوائية لصد حملة (استنالي) و(أمين باشا) تعرض لمرض حمى التيفويد، وقد كان سكان أم درمان يتطلعون لمعرفة أخبار الخليفة عبد الله بعد هذا المرض ، كما أن البعض منهم وتحديداً الناقمين على حكم الخليفة كانوا يرجون موته ، وقد استمرت هذه الحمى مع الخليفة لمدة ثلاثة اسابيع ، وعندما خرج على الناس تم استقباله من قبل أهله وعشيرته بالترحاب والتبجيل [16].

تعرض الخليفة عبد الله طوال فترة حكمة لنوبتين قويتين من المرض، وفي المرة الثانية فقد معظم المحيطين به الأمل في شفائه، وكاد طبيبه الخاص الذي قام بإعطائه دواء مسهل أن يفقد رأسه لولا أن الدواء أعطي مفعولا ايجابياً في اللحظات الأخيرة، وقد كانت الامراض التي تحلق بالخليفة تحاط بالسرية التامة والتكتم من قبل من أهله وعشيرته، وبعد أن شفي الخليفة قام الخلفة على ودحلو بتلاوة ذلك لخبر في المسجد، حيث رحب الجميع بهذا الخبر المفرح للبعض منهم [17].

وفي شهر رمضان 1315هـ تعرض الأمير يعقوب بمرض منعه من الخروج للصلاة في المسجد الأمر الذي جعل الأمير محمود ود أحمد، يكتب للأمير يعقوب مستفسراً عن صحته وما ألم به من مرض (... قد تواتر لدي ما شغل خاطري وأمرض فكري واقلق فوادي وصار الذهول ملازما لي بأسبابه من ان جنابكم يشتكي من لطف به وانه منذ يوم ايام لم تطيقوا الخروج ولو إلى الجامع ...)[18].

بعض أنواع الأدوية والعلاجات التي كانت مستخدمة في فترة المهدية:

علاج التيفويد:

ذكر شارلس نيوفلد أنه قد صيب بحمى التيفويد عندما كان مسجوناً في سجن الساير ، وقد أصابت هذه الحمى غيره من المسجونين ، وقد أطُلق عليها اسم (أم سبعة) وذلك لأنها تودي بحياة صاحبها في سبعة أيام ،وقد ذكر نيوفلد أن من طرق العلاج لهذا المرض حسب وصفه لحمى التيفويد يقوم على تناول شوربة الخضار المغموس في ملح الطعام ، حيث يتم شرب الماء واحتساء الشوربة حتى يكتمل الشفاء بإذن الله ، وقد ذكر أن هذا العلاج يؤدي إلى حالة من الاستفراغ ، وعندما يسرى مفعول الحساء يمتلئ فم المريض بالزبدة حتى الحلق ، ويحس المريض بعملية احتراق داخلي ،

(12) يوسف ميخائيل ، مذكرات يوسف ميخائيل التركية والمهدية والحكم الثنائي (شاهد عيان) ، (تحقيق) أحمد ابراهيم أبوشوك، مركز عبد الكريم ميرغني ، أم درمان ، 2009، ص، 132.
(13) شارلس نيوفلد ، مصدر سابق، ص 114.
(14) د .و .ق. خ مهدية 2/ 1/18 من الزبير عبدالرحيم إلى الخليفة عبد الله ، رمضان 1306هـ ، ص146.
(15) د .و .ق. خ مهدية 2/ 1/86 من الخليفة عبد الله إلى حمدان أبوعنجة ، 22 الحجة 1303هـ ، ص1.
(16) كارل رودلف سلاطين ، السيف والنار في السودان ، الرحم للنشر والتوزيع ،القاهرة ، 2016م، ص 210.
(17) جوزف أورفالد ، مصدر سابق، ص،137.
(18)د .و .ق. خ مهدية 1/ A9/ 2 من محمود ودأحمد إلى الأمير يعقوب ، 27 رمضان 1315هـ ، ص304.

والطريقة الثانية تعتمد على مسح جميع الجسم بالزبدة أو الزيت ويفضل (الزبدة) ، ويلف في قماش ، حتى يتعرق ويكتمل شفاء لمريض بعد ذلك ([19]).

ويذكر شارلس نيوفلد أنه قد مارس عملية (التطيب) العلاج في السجن ، وذلك من خلال علاج أحد المسجونين الذي يدعى محمد عجمي كان من ضمن قوات الجهادية في العهد التركي – المصري ، وقد كان يركض خلف الخليفة ، ولكنه في إحدى المرات غضب منه عثمان شيخ الدين بن الخليفة حيث تعرض للضرب لمبرح من قبله ، و تمزق ظهره بصورة كبيرة ، ولكي تكتمل علمية شفاءه التي استغرقت ما بين ستة إلى ثمانية اسابيع ،استخدم شارلس نيوفلد محلول مخفف من حامض (الكربونيك) ، وقد يعث له عثمن شيخ الدين بعض من بلورات (الكربونيك) لهذا الغرض ، وبعد اكتمال شفاء محمد عجمي طلب عثمان شيخ الدين من الخليفة عبد الله الافراج عن شرلس نيوفلد ، وذلك لكي يعمل على معالجة الأنصارويقوم بتدريسهم كيفية العلاج ، لكن الخليفة عبد الله رفض هذا الطلب([20]).

الأدوية الحديثة في أم درمان:

تشير إحدى وثائق المهدية والتي يرجح أن شارلس نيوفلد قد قام بكتابتها، حيث أنها قد تضمنت على العديد من أنواع الدوية الحديثة في ذلك الوقت ومن هذه الأدوية (الكلورزين، والنشادر، وحبوب النعناع، والكينين، الديجتالين واللدنيوم)

وقد استخدم الكلورزين لعلاج الاسهال من خلال تناول ما بين 6-12 نقطة في حالة الاصابة بالإسهال ، وفي حالة الاغماء يتم استخدام النشادر ، وكذلك في حالة عضه ثعبان ولدغة عقرب ، حيث يتم وضعه على مكان العضة ، وقد تم استخدام حبوب الكينين لعلاج الحمى حيث يتم تناول ما بين 3-6 حبات للعلاج ، وقد استخدم النعناع في تسريع عملية الهضم ، وقد استخدم ايضا الديجتالين لعلاج ضعف أو سرعة أو بطئ في قوة القلب وذلك بسبب الاجهاد الجسدي ويعطى المريض منه حبه واحدة في اليوم ، وقد استخدمت ايضا مسكنات الألم والاسهال مثل (اللدنيوم)([21]).

العلاج في أم درمان:

مثلت أم درمان مركز العلاج في الدولة المهدية، حيث يفد إليها الناس من مختلف مناطق الدولة المهدية بغرض العلاج، وذلك بعد أخذ الاذن من عامل العمالة أو قائد الجيش، أو الأمير المعني، حيث كان يتم إصدار تصاريح بذلك ولا يسمح لأي شخص بالوصول إلى أم درمان مالم يحمل تصريحاً بالسفر إلى أم درمان، وعندما مرض البدوي ود العريق أحد التجار المهمين في المهدية، وعندما كان في بربر مع عثمان الدكيم طلب الذهاب إلى أم درمان، وقد وافق الخليفة عبد الله على حضور البدوي ودالعريق إلى أم درمان بغرض العلاج ([22]).

الطرق التقليدية في التداوي:

من الطرق التي كان يتم بها التداوي في المهدية، الطرق التقليدية، وذلك عندما أصُيب شخص يدعى محمد زروق بداء في حلقة، كتب عبد الباقي عبد الوكيل للخليفة عبد الله يطلب من الإذن بأن يتوجه الشخص المعني للبقعة المشرفة (أم درمان) وذلك بغرض التداوي (بالخشبة)، وهو اسلوب ناجح في علاج مثل هذه الأمراض حسب رؤية عبد الباقي عبد الوكيل ([23]).

عندما مرض الأمير الزاكي طمل عمل على تناول (شربة) بغرض العلاج من بعض الأمراض في البطن، وقد أدت هذه الشربة إلى فقدان الأمير الزاكي طمل للوعي حتى أن بعض الانصار ظن بأنه قد فارق الحياة، ولكنه تعافى بعد ذلك ([24]).

في 15 شعبان 1315هـ وصل الاذن من الخليفة عبد الله لمحمد زروق بأن يحضر للعلاج في أم درمان ([25]).

([19]) شارلس نيوفلد ، سجين الخليفة (إثناء عشر عاما أسيرا بأم درمان) ، (ترجمة) ، محجوب التجاني محمد ، (ب.د) ، 2006م، ص 84.
([20]) شارلس نيوفلد، مصدر سابق، ص 94.
([21]) د .و .ق. خ مهدية 1/ 39/ مجموعة رسائل في المهدية ، (ب .ت) ، ص60.
([22]) د .و .ق. خ مهدية 1/ متنوعة 4/ 1/6 من عثمان الدكيم إلى الخليفة عبد الله ، 1 صفر 1305هـ ، ص4.
([23]) د .و .ق. خ مهدية 1/ 7 من عبد الباقي عبد الوكيل إلى الخليفة عبد الله ، 18 رجب 1315هـ ، ص217.
([24])د .و .ق. خ مهدية 1/ 28 من أحمد على إلى الخليفة عبد الله ، 27 رمضان 1310هـ ، ص9.
([25]) د .و .ق. خ مهدية 1/ 7 من عبد الباقي عبد الوكيل إلى الخليفة عبد الله ، 5شعبان 1315هـ ، ص228.

وعندما مرض شخص يدعى سيد حمد وقيع الله، بمرض الدم والحمى طلب عبد الباقي عبد الوكيل من الخليفة عبد الله أن يأذن له بالحضور إلى أم درمان بغرض العلاج ([26]).

ولتوفر العلاج بأم درمان كان العديد من الأنصار والجهادية يطلبون كل فترة وأخرى الاذن بالذهاب إلى أم درمان بغرض العلاج، حيث طلب كل من آدم الزامر وخير الله عجال ومحمد الدليب من عبد الباقي عبد الوكيل الاذن بالسفر بغرض العلاج في أم درمان، ولكن هؤلاء المرضى أمضوا ما يقارب الشهرين في العاصمة ولم يعدوا إلى مواقعهم مما جعل عبد الباقي عبد الوكيل يكتب للخليفة بذلك، ويطلب منه ارجعاهم إلى مناطق عملهم ([27]).

كتب الأمير محمود ودأحمد إلى الخليفة عبد الله يخبره بأنه أذن لأحد معاونيه والذي يدعى آدم اللول، والذي تعرض لحبس بول بالذهاب إلى أم درمان بغرض العلاج (...سيدى ان الحبيب آدم اللول بربع المكرم عبد الله حامد حصل له عيا بدء الحصر واشتد عليه حين صار لا يطيق السفر معه وحيث انه من الرجال الذين عليهم العول في الجهاد فقد ازناه بالوصول للبقعة ولمعالجة بها ثم يحضر الينا...)([28]).

وعندما اصيب أحد الانصار بمرض الجنون ، ويدعى بابكر أصغر من أتباع راية عبد القادر دليل ، كتب الأمير محمود ود أحمد إلى الامير يعقوب يخبره بأنه قد أذن له بالسفر إلى أم درمان بغرض العلاج بصحبة أثنين من لأنصار ، وقد وضح الأمير محمود ودأحمد للأمير يعقوب أن هذا الشخص أصيب بالمرض نتيجة لتراكم العديد من لأمراض (...سيدي انه لقد رفع الينا من المكرم عبد القادر دليل بان أحد الاخوان الذين معه بالربع قيادته قد اصيب بذهاب العقل بأسباب امراض تراكمت عليه والتمس ارساله للبقعة المنورة وصحبة نفرين والمذكور يدعى بابكر اصغر وعلى حسب التماسه هاهو مرسل للبقعة ...)([29]).

عندما أصُيب محمد الريح نائب الشرع في سرية محمود ودأحمد بمرض في بطنه، كتب الامير محمود ودأحمد للأمير يعقوب يخبره بذلك ويوضح له أنه قد طلب من محمد الريح سرعة الذهاب إلى أم درمان بغرض تلقى العلاج هناك على أن يعود على جناح السرعة، حيث أكد عليه بأن يتعالج عند من يعرفون المعالجة هناك ([30]).

كتب الامير محمود ودأحمد للأمير يعقوب يخبره بمرض شخص يدعى آدم دومة اسماعيل، وقد طريح الفراش ولا يستطيع الحركة، ولذلك رأي الامير محمود ودأحمد سفر آدم دومة إلى أم درمان وذلك لتوفر العلاج بالبقعة (...نبدى سيدي ان الحبيب آدم دمة اسماعيل من مده ملازماً الفراش حتى الآن لا كان يستطيع للحركة ولسهولة المعالجة بالبقعة المنورة وراحته هناك طلب منا الاذن ولما رأيناه من حالته خترنا توجه لهناك للمعالجة ولزم رفعه لمعلومية سيدى بأمره ونرجو متى حصل له الشفاء ينبه عليه بلحوق الجيش ...)([31]).

وعنما مرض شخص يدعى جمعة بادي من قوات الامير محمود ودأحمد، كتب الأمير محمود إلى الأمير يعقوب يخبره بمرض جمعة بادي وأنه قد أعطاه الأذن بالذهاب إلى أم درمان بغرض تلقي العلاج، ونظراً لأنه لا يستطيع الحركة فقد قرر الأمير محمود ودأحمد ذهابه إلى أم درمان، وقد برر الامير محمود ودأحمد هذا الاذان بتوفر العلاج في أم درمان، وطلب من الأمير يعقوب أن يقوم بتوجيهه بعد الشفاء بالرجوع إلى قوات الأمير محمود ودأحمد ([32]).

مساهمة بيت مال العموم في علاج بعض الأنصار:

كان بيت مال العموم في أم درمان يقوم بالصرف على علاج بعض الانصار الذين يحضرون إلى أم درمان، فقد تم دفع 2 جوال ذرة إلى الشريف سفروك، بعد معالجته ([33]).

([26]) د .و .ق. خ مهدية 1/ 7 من عبد الباقي عبد الوكيل إلى الخليفة عبد الله ، 23 رجب 1315هـ ، ص223.
([27])د .و .ق. خ مهدية 1/ 7 من عبد الباقي عبد الوكيل إلى الخليفة عبد الله ، 29 شوال 1315هـ ، ص240.
([28])د .و .ق. خ . مهدية 1/ 9 A/ 1 مهدية من محمود ود أحمد إلى الأمير يعقوب، 29 رمضان 1315هـ ، ص306.
([29]) د .و .ق. خ . مهدية 1/ 9 A/ 1 من محمود ود أحمد إلى الأمير يعقوب، 3 شوال 1315هـ، ص310.
([30]) د .و .ق. خ . مهدية 1/ 9 A/ 1 من محمود ود أحمد إلى الأمير يعقوب، 11 شوال 1315هـ ، ص314.
([31])د .و .ق. خ . مهدية 1/ 9 A/ 1 من محمود ود أحمد إلى الأمير يعقوب، 17 شوال 1315هـ، ص319.
([32]) د .و .ق. خ . مهدية 1/ 9 A/ 1 من محمود ود أحمد إلى الأمير يعقوب، 17 شوال 1315هـ، ص320.
([33]) د .و .ق. خ . مهدية 107/ 3 / 7 كشف يحتوي على أصول وخصوم الغلال ببيت مال العموم، ربيع آخر 1315هـ، ص10.

وفي شهر صفر(1315ه) أخرج بيت مال العموم 6 قوشلي لعلاج أحد قوات الكارة المقيمون في أم درمان ([34]).

وبالإضافة لعلاج قوات المهدية، فقد قام بيت مال العموم في عهد أمينه ابراهيم رمضان بصرف مبلغ (400) قوشلي، بغرض علاج ضيوف المهدية من الأحباش، الذين زاروا أم درمان في العام 1315ه ([35]).

هذا الأمر يدل على أن العاصمة أم دمان كانت توجد بها خدمات صحية جيدة إلى حد ما، وذلك من خلال المبالغ التي كان بيت مال العموم يقوم بصرفها على علاج الأنصار وبعض ضيوف الدولة المهدية، كما لاحظنا ذلك في المبالغ التي تم صرفها للعلاج في أم درمان.

بعض الأمراض وطرق علاجها في عمالات المهدية:

في منطقة دنقلا وعندما مرضت زوجة شخص يدعى ابراهيم الحاج من المقيمين في دنقلا، مع قوات الأمير محمد ودبشارة، طلب ود بشارة من شخص يدعى أحمد محمد أن يعمل على توصيل زوجة ابراهيم الحاج إلى (الحكيمة) الموجودة بمنطقة الدبة بديار قبيلة الشايقية، على ان يتم صرف ذرة لأسرة الحكيمة طوال فترة تداوي زوجة ابراهيم الحاج ([36]).

ومن الأمراض التي انتشرت في عمالة بربر مرض الحمي ومرض (الدم) وهو الالتهاب الحاد وهناك مرض آخر عرف بمرض (السوتيه)، وقد كتب محمد الزاكي عثمان للخليفة عبد الله في شهر الحجة 1315ه يخبره بعدد الذين توفوا في بربر ونوع المرض الذي أودى بحياتهم (37).

حيث أن الخليفة عبد الله كان يعمل على معرفة كل ما يدور في حدود دولته وخارجها.

في 6 محرم (1306ه) وفي عمالة القلابات شرق السودان تعرضت أحدى زوجات الأمير حمدان أبوعنجة وهي من قبيلة الحوازمة إلى نوع من المرض يعرف بداء (الأفرنك) وهو داء يصيب الحلق، وقد كتب حمدان أبوعنجة للخليفة بذلك، فما كان من لخليفة عبد الله إلا ان طلب منه عدم القرب منها، لأن هذا المرض من الأمراض الفتاكة، وقد برر الخليفة طلبه لحمدان بعدم لاقتراب منها لخطورة هذا المرض، ولأنه يخاف على الأمير حمدان من أن ينتقل إليه المرض ([38]).

وفي عمالة الغرب تعرض أبناء الأمير محمود ود أحمد عندما كان في عام (1310ه)، لمرض (دودة الفرنديت) وقد اكتشف الامير محمود ودأحمد أن أنجع علاج لهذا المرض يتمثل في برادة (الفضة)، وقد كتب للأمير محمد ودبشارة

يطلب منه توفير كمية من برادة لفضة لعلاج هذ المرض الذي أصاب ابناءه (... فمن عبد ربه محمود ودأحمد للمكرم محمد بشارة تولاه الله امين بعد السلام عليكم فنعلمكم ان اولادنا الذين معنا كن البعض منهم أصيب بداء الفرنديت وعمل الادوية

له فلم يوجد انفع من برادة الفضة وقد كان وتدوا بها ولان حصل ذلك العيا لبعضهم فلذ تحرر لكم ينبغي ن تحضروا معكم جانب من برادة الفضة لمداواة الاولاد كما ذكرناه ...) ([39]).

بعض الأمراض التي تصيب الحيوان في الدولة المهدية:

بالإضافة للأمراض التي كانت تصيب الأنسان في الدولة المهدية ، فقد تعرضت العديد من الحيوانات لعدد من الأمراض ، حيث أصيبت الخيول في مناطق القلابات بشرق السودان بمرض يسمى (النجمة) ، وهو من الأمراض التي كانت تفتك بالخيول في تلك الجهات (...سيدي ان الحصان ركوبتنا بيوم امس نفق بالموت بمرض النجمة وصرنا في احتياج لغيره ...)([40]).

([34]) د .و .ق. خ . مهدية 10/ 3 / 7 كشف يحتوي على أصول وخصوم الغلال ببيت مال العموم، صفر 1315هـ، ص1.
([35]) د .و .ق. خ . مهدية 10/ 3 / 7 كشف يحتوى على أصول وخصوم الغلال ببيت مال العموم ، صفر 1315هـ ، ص1.
([36]) د .و .ق. خ مهدية 1/ 2/36 من محمد ودبشارة إلى محمد أحمد ، 26 ربيع أول 1313هـ ، ص، 29.
([37]) د. و. ق. خ مهدية 3/17/1 من محمد الزاكي عثمان إلى الخليفة عبد الله 4 الحجة 1315ه، ص 370..
([38]) د .و .ق. خ مهدية 1/ 2/86 من الخليفة عبد الله إلى حمدان أبوعنجة ، 6 محرم 1306هـ ، ص، 9.
([39])د .و .ق. خ مهدية 1/ 2/36 من محمود ودأحمد إلى محمد ودبشارة ، 10 جماد آخر 1310هـ ، ص، 24.
([40]) د .و .ق. خ مهدية 1/ 28 من أحمد على إلى الخليفة عبد الله ، 28 ربيع أول 1309هـ ، ص، 23.

الأدوية الحديثة في الدولة المهدية:

بسبب حالة الانغلاق التي عاشتها الدولة المهدية لفترة ليست بالقصيرة، وذلك لخوف لخليفة عبد الله من دخول الجواسيس، انهارت الرعاية الصحية بصورة كبيرة، ولم تشهد الدولة دخول الأدوية والعقاقير الطبية الحديثة لعلاج الكثير من الامراض التي انتشرت في الدولة، وقد ساعدت ارتفاع الحرارة في السودان تفشي الكثير من الأمراض بين جميع مكونات الشعب في فترة الدولة المهدية ([41]).

رغم الاجتهاد الواضع في تحسين الوضع الصحي في الدولة المهدية ، ومحاولات الأمراء والقادة وعامة الشعب للحصول على العلاج في أم درمان إلا أن العديد من الأنصار كانوا يمتون بسبب الأمراض المختلفة ، والتي لم يكنوا يعلمون عنها شيء يذكر في مناطق الدولة المختلفة ، وذلك لصعوبة تشخيصها وندرة الحصول على وسائل العلاج الناجعة ، ولكل ذلك نجد أن الوضع الصحي في الدولة المهدية قد كان متردياً رغم المحاولات التي كان يقوم بها بعض المعالجين ، ونرى أن مرد ذلك حالة الحصار الانقطاع والحصار التي دخلت فيها الدولة عن محيطها الإقليمي.

الخاتمة

عرف السودان العلاج التقليدي أو البلدي منذ الحضارات السودانية القديمة ، وستمر استخدام هذه لأدوية أو العلاجات عبر الفترات التاريخية المختلفة حتى يومنا هذا ،كما أن إهمال الحكم التركي – المصري لعلاج مختلف شرائح ومكونات الشعب السوداني ، مهد الطريق لابتكار طرق جديدة وتحديث العلاج البلدي في السودان ، والمتتبع للعلاج والتداوي في الدولة المهدية (1885-1898م) يجد أن الدولة المهدية قد أولت هذا الموضوع الكثير من الاهتمام ، ومرد ذلك تعرض الدولة للعديد من لأمراض ولأوبئة والتي أضرت بتركيبة الدولة الاجتماعية والاقتصادية ، كما أن الدولة المهدية قد تعرضت للعديد من لأمراض والتي منها الملاريا والتيفويد ، والأمراض الجنسية ، والأمراض المتعلقة بالنظافة الشخصية ، كما نجد أنها قد تعرضت للحمى وغيره من الأمراض, وقد مثلت أم درمان مركز لعلاج الكثير من الأمراض ، حيث يفد الأنصار والمقتلين والقادة من مختلف مناطق الدولة المهدية بغية العلاج في العاصمة ، وأخذ قسط من الراحة والهروب من جحيم الحروب والاستعداد المستمر للدولة ، وهي الحالة التي عشتها المهدية منذ فجرها الأول في آبا وحتى سقوطها في أم دبيكرات في العام 1899م.

وكذلك انتشرت الادوية البلدية في المهدية، حيث كان يتم علاج الكثير من الأمراض مثل الحمي والدوسنتاريا وأمراض الحلق بالطرق التقليدية، بالإضافة إلى الكسور، وأمراض العيون والأمراض التناسلية وغيرها من الأمراض.

النتائج:

من النتائج التي خلصت إليها الدراسة: -

اعتماد الدولة المهدية على مخلفات الحكم التركي – المصري من حيث الأدوية الحديثة لعلاج الكثير من الأمراض.

اتخاذ أم درمان قاعدة علاجية مركزية يفد إليها القادة والأمراء وبعض القوات من الأقاليم المختلفة.

كانت هناك صيدلية صغيرة تتبع لبيت مال العموم في أم درمان يتم صرف الادوية منها تحت إشراف شارلس نيوفلد.

لاعتماد على الادوية التقليدية أو البلدية في علاج لكثير من الأمراض في مختلف عمالات المهدية.

التوصيات:

من التوصيات التي خرجت بها الدراسة: -

العمل على دراسة الوضع الصحي في المهدية في السودان بصورة مفصلة.

إخضاع طرق وأنواع العلاج التي كانت مستخدمة في فترة المهدية للمزيد من البحوث لمعرفة مدى كفأتها في علاج الكثير من أمراض اليوم.

الاستفادة من الدراسات التاريخية في معرفة مكان وفترات الأمراض والأوبئة التي كانت تجتاح السودان في فترات تاريخية سابقة لعمل لمزيد من التحوطات.

([41]) د .و .ق. خ مهدية 1/ 28 من أحمد على إلى الخليفة عبد الله ، 28 ربيع أول 1309هـ ، ص3.

قائمة المصدر والمراجع

أولاً: المصادر:

أ. الوثائق:

1- د. و.ق. خ مهدية 2/ 1/18 من الزبير عبد الرحيم إلى الخليفة عبد الله، رمضان 1306هـ

2- د. و.ق. خ مهدية 2/ 1/86 من الخليفة عبد الله إلى حمدان أبوعنجة، 22 الحجة 1303هـ

3- د .و .ق. خ مهدية 1/ A9/ 2 من محمود ودأحمد إلى الأمير يعقوب ، 27 رمضان 1315هـ

4- د .و.ق. خ مهدية 1/ 39/ مجموعة رسائل في المهدية ، (ب. ت) .

5- د .و.ق. خ مهدية 1/ متنوعة 4/ 1/6 من عثمان الدكيم إلى الخليفة عبد الله ، 1 صفر 1305هـ .

6- د .و.ق. خ مهدية 1/ 7 من عبد الباقي عبد الوكيل إلى الخليفة عبد الله ، 18 رجب 1315هـ .

7- د .و.ق. خ مهدية 1/ 28 من أحمد على إلى الخليفة عبد الله ، 27 رمضان 1310هـ .

8- د .و.ق. خ مهدية 1/ 7 من عبد الباقي عبد الوكيل إلى الخليفة عبد الله ، 5شعبان 1315هـ .

9- د .و.ق. خ مهدية 1/ 7 من عبد الباقي عبد الوكيل إلى الخليفة عبد الله ، 23 رجب 1315هـ .

10- د .و.ق. خ مهدية 1/ 7 من عبد الباقي عبد الوكيل إلى الخليفة عبد الله ، 29 شوال 1315هـ .

11- د .و.ق. خ . مهدية 1/ 9 A/ 1 مهدية من محمود ود أحمد إلى الأمير يعقوب ، 29 رمضان 1315هـ

12- د. و. ق. خ. مهدية 1/ 9 A/ 1 من محمود ود أحمد إلى الأمير يعقوب، 3 شوال 1315هـ

13- د. و. ق. خ . مهدية 1/ 9 A/ 1 من محمود ود أحمد إلى الأمير يعقوب، 11 شوال 1315هـ .

14- د .و.ق. خ . مهدية 1/ 9 A/ 1 من محمود ود أحمد إلى الأمير يعقوب، 17 شوال 1315هـ .

15- د. و. ق. خ. مهدية 1/ 9 A/ 1 من محمود ود أحمد إلى الأمير يعقوب، 17 شوال 1315هـ .

16- د. و. ق. خ. مهدية 107/ 3 / 7 كشف يحتوى على أصول وخصوم الغلال ببيت مال العموم، ربيع آخر 1315هـ .

17- د .و.ق. خ . مهدية 10/ 3 / 7 كشف يحتوي على أصول وخصوم الغلال ببيت مال العموم، صفر 1315هـ

18- د .و.ق. خ . مهدية 10/ 3 / 7 كشف يحتوى على أصول وخصوم الغلال ببيت مال العموم، صفر 1315هـ .

19- د .و .ق. خ مهدية 1/ 2/36 من محمد ودبشارة إلى محمد أحمد ، 26 ربيع أول 1313هـ ،.

20- د .و.ق. خ مهدية 1/ 2/86 من الخليفة عبد الله إلى حمدان أبوعنجة ، 6 محرم 1306هـ .

21- د. و . ق. خ مهدية 1/ 2/36 من محمود ودأحمد إلى محمد ودبشارة ، 10 جماد آخر 1310هـ .

22- د. و. ق. خ مهدية 3/17/1 من محمد الزاكي عثمان إلى الخليفة عبد الله 4 الحجة 1315هـ

23- د. و. ق. خ مهدية 1/ 28 من أحمد على إلى الخليفة عبد الله، 28 ربيع أول 1309هـ

ب. الكتب المصدرية:

1- جوزف أورفالد، عشر سنوات من الأسر في معسكر المهدي (1882-1892م)، (ترجمة) عوض أحمد محمد الضوء، مطبعة التمدن المحدودة، الخرطوم، 2008م.

2- كارل رودلف سلاطين، السيف والنار في السودان، الرحم للنشر والتوزيع، القاهرة، 2016م.

3- شارلس نيوفلد، سجين الخليفة (إثناء عشر عاما أسيرا بأم درمان)، (ترجمة)، محجوب التجاني محمد، (ب.د)، 2006م.

ثانياً: المراجع:

1- تاج السر عثمان الحاج، التاريخ الاجتماعي للمهدية (1881-1898م)، مركز عبد الكريم ميرغني، أم درمان، 2010م

2- حسن فريد أبو غزالة، أمراض لها تاريخ، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، سلسلة الثقافة العلمية، 1995م.

3- محمد الأمين سعيد، عصري عباس ومحمد سعيد في السودان (1265-1279هـ / 1848-1863م)، مطبعة جامعة الخرطوم، الخرطوم، 2008م.

محمد سعيد القدال، تاريخ السودان الحديث (1821-1956م)، ط2، مطبعة جامعة أفريقيا، الخرطوم، 2002م